

## غريبة تقاوم غربتها

## غادة دحدلة

## تعثر في الرسم على وطنها المفقود

فاروق يوسف  
كاتب عراقي

أين ينتهي الواقع ويبدأ التجريد؟ ربما هو سؤال ساذج، سيكون نوعاً من الاحتياط أن نراعي فكرة أن كل شيء في الرسم سيكون وهمياً، ما هو تجريدي يمكن أن نراه في الواقع. تلك فكرة ليست غامضة وليست مستحيلة، ليس التجريد فكرة يحترقها الذهن. الرسامون يستلهمون الطبيعة، غالباً ما يحدث ذلك غير أنهم أحياناً يكتفون بهندستها فيحذفون ما هو عاطفي منها.

## ما من وقت للرائء

أهذا ما فعلته الأردنية غادة دحدلة؟ قبل سنوات شغفت بالتقاط صور للصدن من الطائرة حين الهبوط. ذاك ما فعله كثيرون. تلك صور تعيدني حين أراها إلى التفكير بما كان الرسام بيت موندريان يقترحه على من تأسرهم لوحاته من غير أن يتمكنوا من إحالتها إلى مرجعية واقعية بعينها. كان يقترح عليهم أن يعودوا إلى الطبيعة الهولندية. ولأنني التقطت صوراً كثيرة لاستودام من الطائرة فقد كنت أرى تلك الصور مطبوعة على لوحات الرسام الهولندي الذي شغف بأشكاله مصممو الأزياء والأثاث المنزلي.

دحدلة من جهتها لا تخفي مرجعيتها الواقعية، الأبواب والشبابيك وما حولها. ولكنها لا تتوقف عند الشكل الخام كما يرى بل غالباً ما تتجاوزها إلى مجموعة الأوهام التي تختبئ وراءه وتؤسس



## دحدلة لا تخفي مرجعيتها

## الواقعية، الأبواب والشبابيك

وما حولها، ولكنها لا تتوقف عند

الشكل الخام كما يرى بل غالباً ما

تتجاوزها إلى مجموعة الأوهام التي

تختبئ وراءه وتؤسس لجمالياتها

الماكراة التي يختلف تأثير خيالها

بين شخص وآخر

لجمالياته الماكراة التي يختلف تأثير خيالها بين شخص وآخر. تبدو اللوحة لدى دحدلة كما لو أنها مشروع تشبيد باب أو شبك من طراز خيالي. هناك عالم يتحصن بالغازه كما لو أن الرسامة قد اخترقته بعد أن جالت بين درويه هو الذي يقف بينها وبين الوصف. ما صارت تراه هو بالضبط ما تتذكره وليس ما يقع في الواقع.

## المفردات التي تعمل على استلامها جمالياتها يمكن اعتبارها عناصر هوية، غير

أن دحدلة تعاملت مع تلك

## المفردات بذكاء، بحيث أراحت

عنها ثقل الملكية الضيقة مما

فتح الطريق أمامها لتكتسب

## طابعاً عالمياً

بصلة. صارت ترسم بقوة المخيلة التي تعلق بتلك الوحدات على مرجعيتها المباشرة.

كل ما فعلته الفنانة كان يعبر عن انتمائها إلى الرسم الخالص. لذلك يمكن النظر إلى رسوماتها بطريقتين. الأولى تكتفي بجماليات التكوين وتحثي بالعلاقات الشكلية الصافية بين المساحات والثانية تعود إلى الموضوع الذي يهتم الفنانة أشكالها ليصب الأهتمام كله على المرجعية الوطنية التي صارت الرسامة تتعامل معها بخفة ويقدر عال من الشفافية.

لا تحتاج دحدلة إلى أن تقدم مرجعياتها على جماليات رسوماتها التي ظلت في كل المراحل محتفظة بصرامتها الأسلوبية. ذلك ما ساعد الرسامة على ألا تسقط في فخ الحكاية المتاحة للجميع.

لقد اكتشفت في وقت مبكر من حياتها الفنية أنها يمكن أن تتخطى تلك الحكاية تفصيلها العالمية لتجعل من عناصرها الشكلية مصدر إلهام بصري يكتفي بذاته.

سيكون علينا أن نفكر في البشر الذين تسعدهم تلك اللوحات. ذلك ضروري من أجل أن تأخذ الحكاية طريقها إلى وعي الملقى من غير توجيه مسبق. لقد أنتجت الفنانة رسوماً كانت تشير إلى مكان بعينه. ذلك المكان الذي سيجذب إليه مشاهداً سعيداً. وهي سعادة لا تصدر عن الاحتفال بالمكان حتماً. نجحت دحدلة في خلق معادلة متوازنة بين قضيتين. الرسم باعتباره لعبة جمالية والوطن باعتباره خزين ذكريات بصرية.

تلك الغريبة التي تتذكر ماضيها" تلك جملة يمكن أن تعتبرها الفنانة نسفاً

لتجربتها الفنية. صحيح أنها ترسم ما تتذكره غير أن هدفها لا ينحصر في ما تتذكره مستسلمة لحنانه. الرسم بالنسبة إليها لا يخدم الذاكرة، إنه تجربة حياة تتذكر أنها كانت رسامة يوماً ما بقدر ما سيكون عليها أن تنمائها مع ما ترسمه باعتباره غذاء مستقبلياً.

## فضاء شخصي داخل الرسم

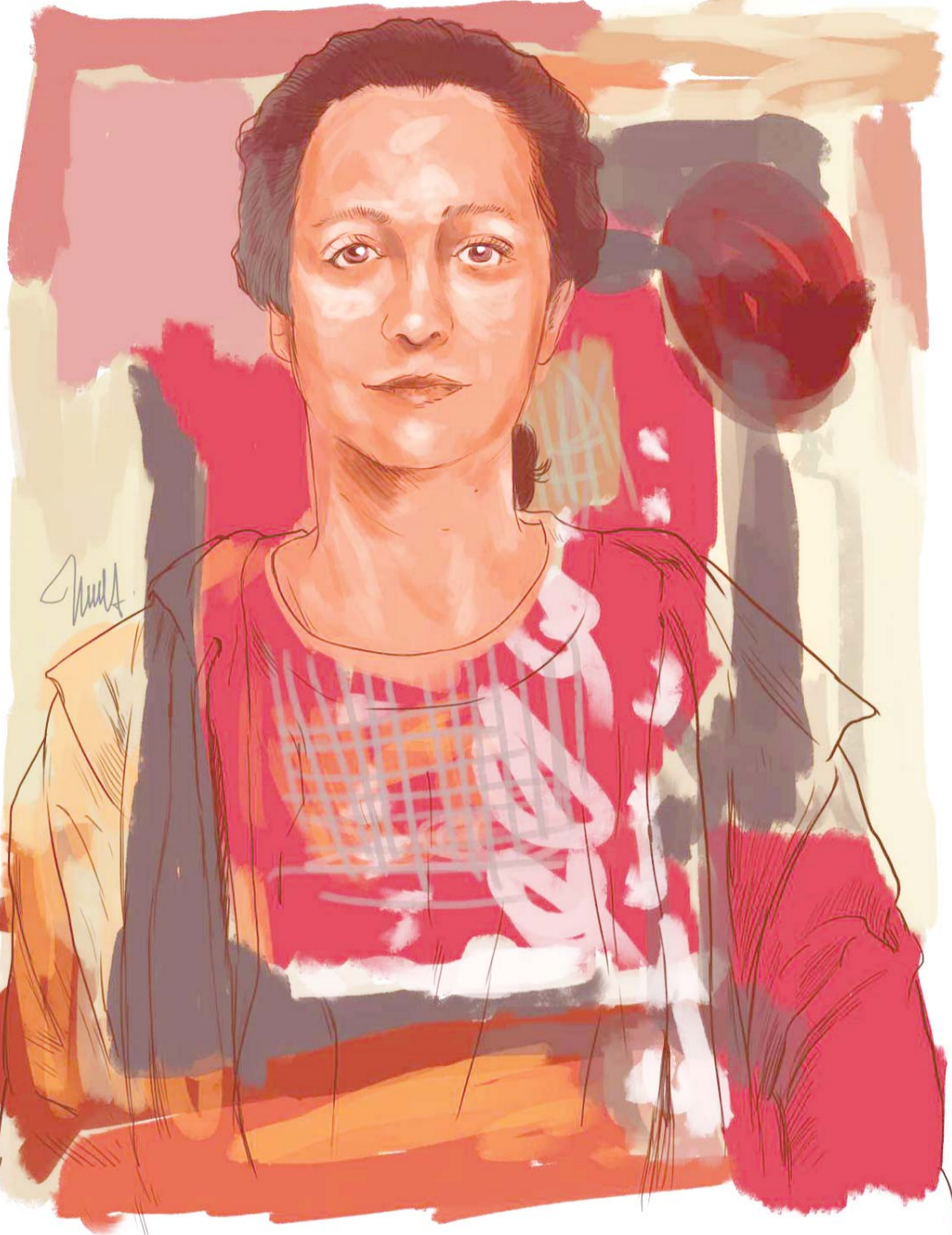
لقد كافحت دحدلة من أجل ألا تكون غريبة من خلال الرسم. غربتها تقع في مكان آخر. ذلك لا يعني أنها سعت إلى الاندماج مع المجتمع الكندي ونسيان أصولها. غير أنها لا ترسم من أجل أن تقاوم حاضرها. ذلك ما وهبها القدرة على إنتاج رسومات لا تحصر حركتها ضمن نطاق البحث عن هوية. طريقها في التفكير في الهوية لا تتخذ طابعاً استعلائياً مباشراً.

فهي تطلعن إلى سلامة عناصر هويتها من خلال تكريس وجودها كائناً معاصراً.

كل المفردات التي تعمل على استلامها جمالياتها يمكن اعتبارها عناصر هوية. غير أن دحدلة تعاملت مع تلك المفردات بذكاء بحيث أراحت عنها ثقل الملكية الضيقة مما فتح الطريق أمامها لتكتسب طابعاً عالمياً. ستكون مفردات تجريدية بعد أن تخلت عن لغتها الأولى لتزج بنفسها بين لغات مختلفة.

لقد توصلت دحدلة إلى لغتها الخاصة من خلال امتزاج مفرداتها بتلك اللغات. ذلك ما كان سبباً لما نراه من غموض في لوحاتها. وهو غموض يشف عن روح تلك الغريبة التي صارت تنتقل بخفة بين غربتها الواقعية وغرابة أطوار أشكالها التي تتسم بقدرة لا نهائية على الإيحاء.

هي رسامة مرئييات. ذلك وصف لا يكفي. فهي ألحقت الكثير من مفرداتها



الحسية التي تتصف بالكثير من الدلالات الشعبية كالكوفية الفلسطينية مثلاً بعالم بصري يتسع للتأويل الذي لا يعود بتلك المفردات إلى الوراثة.

لقد حرصت على أن يكون الرسم هدفها. ما تحققة في الرسم باعتباره إنجازاً جمالياً يمكن أن تعتبره نوعاً من التعرف على ذاتها داخل التجربة.

كانت حساسيتها إزاء نزعها التجريدية على قدر كبير من الأهمية. فحين تقول إن دحدلة عثرت على هويتها داخل الرسم ومن خلاله، فذلك أنها نجحت في القفز بمرئياتها على سياق المحلية لتحفظ لها مكاناً في السياق العالمي.

دحدلة صنعت فضاءها الشخصي داخل الرسم. وهو فضاء حملت إليه وطنها المفقود. لم تكتف بان يكون ذلك الوطن موقعاً للذكريات بل رغبت في أن تراه حياً من خلال رسومات لا يخفي تجريبها حقيقة ما تشير إليه.

